يعرفون لك صهرك[١] من رسول الله ﷺ، وسنّك، وشرفك، فإن أنت وُلّيتَ هذا الأمر فاتّقِ الله ولا ترفع بني فلان[٢] على رِقَابِ الناس. وقال: ادعوا لي صُهَيباً، فقال: صَلِّ بالناس ثلاثاً، وليجتمعْ هؤلاء الرهطُ في بيت، فإن اجتمعوا على رجل فاضربوا رأسَ من خالفهم[٣].

وعند ابن سعد عن أبي جعفر قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأصحاب الشورى: تشاوروا في أمركم، فإن كان اثنان، واثنان، واثنان فارجعوا في الشورى، وإن كان أربعة واثنان فخذوا صنف الأكثر. وعن أسلَم عن عمر قال: وإن اجتمع رأي ثلاثة وثلاثة فاتبعوا صنف عبد الرحمن واسمعوا وأطيعوا.

وعن أنس رضي الله عنه قال: أرسل عمر بن الخطاب إلى أبي طلحة ـ رضي الله عنه ـ قبل أن يموت بساعة فقال: يا أبا طلحة، كُنْ في خمسين من قومِكَ من الأنصار مع هؤلاء النفر أصحاب الشورى، فإنهم فيما أحسب سيجتمعون في بيت أحدهم، فقم على ذلك الباب بأصحابك فلا تترك أحداً يدخل عليهم، ولا تتركهم يمضي اليوم الثالث حتى يؤمّرُوا أحدهم، اللهم! أنت خليفتي فيهم. كذا في الكنز (٣/١٥٦، ١٥٧).

من يتحمل الخلافة

خطبة أبي بكر رضي الله عنه في ذلك

أخرج ابن عساكر عن عاصم قال: جمع أبو بكر رضي الله عنه الناس وهو مريض فأمر من يحمله إلى المنبر، فكانت آخر خطبة خطب بها، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

> يا أيها الناس، احذروا الدنيا ولا تثقوا بها (فإنها)[٤] غرّارة، وآثروا الآخرة على الدنيا فأحبّوها، فبحبّ كل واحدة، منهما تُبْغَضُ الأخرى[٥]؛ وإنّ هذا الأمر الذي هو أملك بنا لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله، فلا يحمله إلا أفضلُكم مقدرةً، وأملَكُكم لنفسه، أشدّكم في حال الشدة، وأسلَسُكم[٦]

---

(١) كان عثمان رضي الله عنه صهراً للرسول ﷺ حيث تزوّج ابنتيه: رقية وأم كلثوم ولم يعرف عن أحد أنه تزوج ابنتي نبيّ إلا عثمان ولهذا كان يلقب بذي النورين.

(٢) ويقصد هنا أيضاً أن لا يرفع عثمان قرابته على الناس إلا أهل الخبرة والكفاءة منهم.

(٣) المقصد من ضرب رأس المخالف أن لا يحصل الشقاق في الأمة وتنقسم إلى فئتين فتضعف ويطمع فيها عدوّها فالأصلح قتل المخالف لهذه المصلحة.

(٤) هذه الزيادة يقتضيها السياق.

(٥) أي يحب الدنيا تبغض الآخرة، ويحب الآخرة تكره الدنيا.

في حال اللين، وأعلمكم برأي ذوي الرأي، لا يتشاغل بما لا يعنيه، ولا يحزن بما لا ينزل به، ولا يستحيي من التعلم، ولا يتحيّرُ عند البديهة[١]، قويٌ على الأموال، ولا يخون بشيء منها حتّة بعدوان ولا يقصّر، يرصد[٢] لما هو آتٍ، عناده من الحذر والطاعة ـ وهو عمر بن الخطاب. ثم نزل. كذا في كنز العمال (٣/ ١٤٧).

صفات الخليفة كما يراها عمر رضي الله عنه

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خدمتُ عمر رضي الله عنه خدمةً لم يخدمها أحد من أهل بيته، ولطفت به لطفاً لم يلطفه أحد من أهله؛ فخلَوتُ به ذات يوم في بيته ـ وكان يجلسني ويكرمني ـ فشهق[٣] شهقةً ظننتُ أنّ نَفْسَهُ سوفَ تخرج منها، فقلت: أمِنْ جَزَعٍ يا أميرَ المؤمنين؟ قال: من جزع. قلت: وماذا؟ فقال: اقتربْ، فاقتربتُ. فقال: لا أجَد لهذا الأمر أحداً فقلت: وأينَ أنت عن فلان، وفلان، وفلان، وفلان، وفلان، وفلان ـ فسمّى له الستة أهل الشورى ـ فأجابه في كل واحد منهم بقولٍ، ثم قال: إنه لا يصلح لهذا الأمر إلا قويٌ في غير عنف، لَيِّنٌ في غير ضعف، جوادٌ من غير سَرَفٍ، مُمْسِكٌ في غير بُخْلٍ.

وعند أبي عبيد في الغريب، والخطيب في رواة مالك قال: إني لَجالسٌ مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات يوم إذ تنفّس نفسةً. ظننت أنّ أضلاعه قد تفرّجت. فقلت: يا أمير المؤمنين ما أخرج هذا عنك إلا شرٌ. قال: شرٌ، إني لا أدري إلى من أجعل هذا الأمر بعدي. ثم التفتَ إليّ فقال: لعلك ترى صاحبك لها أهلاً. قلت: إنه لأهلٌ ذلك في سابقته وفضله. قال: إنه لكما قلت، ولكنه امرؤ فيه دُعابة[٤] ـ فذكره إلى أن قال: إنّ هذا الأمر لا يصلحه إلا الشديد في غير عنف، اللّيّنُ في غير ضَعْف، الجوادُ في غير سَرَف، الممسك في غير بُخْل. فكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: ما اجتمعت هذه الخصال إلا في عمر رضي الله عنه.

وعند ابن عساكر قال: خدمتُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكنت له هائباً ومعظّماً، فدخلتُ عليه ذات يوم في بيته وقد خلا بنفسه فتنفس نفساً ظننت أنّ نَفْسَهُ خرجتْ

---

(١) «السلس»: السهل «مختار».
(٢) «البديهة»: بدهه أمر أي فجأه. «مختار».
(٣) «يرصد»: يرقب «مختار».
(٤) «الشهيق»: ردّ النفس مع صوت. «مختار».
(٥) «الدعابة»: المزاح.

ثم رفع رأسه إلى السماء فتنفس الصُعَداء. قال: فتحاملتُ وتشدَّدْتُ وقلت: والله لأسألنه فقلت: والله ما أخرج هذا منك إلا همّ يا أمير المؤمنين. قال: همّ ـ والله ـ همٌ شديد!! هذا الأمر لم أجد له موضعاً ـ يعني الخلافة ـ. ثم قال: لعلّك تقولُ: إنّ صاحبك لها ـ يعني علياً رضي الله عنه ـ. قال قلت: يا أمير المؤمنين، أليس هو أهلَها في هجرته، وأهلَها في صحبته، وأهلَها في قرابته؟ قال: هو كما ذكرتَ، لكن رجل فيه دُعابة[1] ـ فذكره إلى أن قال: إن هذا الأمر لا يحمله إلا الّليّن في غير ضعف، والقويّ في غير عنف، والجواد في غير سَرَف. والممسك في غير بخل. قال وقال عمر رضي الله عنه: لا يطيق هذا الأمر إلا رجلٌ لا يصانعُ[2] ولا يُضارعُ[3]، ولا يَتْبعُ المطامعَ؛ ولا يطيقُ أمر الله إلا رجلٌ لا يتكلم بلسانه كلمة لا ينتقضُ عزمه، ويحكمُ بالحق على حزبه ـ وفي الأصل ـ على وجوبه. كذا في الكنز (٣/ ١٥٨، ١٥٩).

وعند عبد الرزاق عن عمر رضي الله عنه قال: لا ينبغي أن يلي هذا الأمر إلا رجل فيه أربع خصال: اللين في غير ضعف، والشدّة في غير عنف، والإمساك في غير بخل، والسماحة في غير سَرَف؛ فإن سقطت واحدة منهم فسدت الثلاث. وعنده أيضاً وابن عساكر وغيرهما عن عمر رضي الله عنه قال: لا يقيم أمر الله إلا من لا يصانع، ولا يضارع، ولا يتبع المطامع، يكف عن عزته، ولا يكتم في الحق على حدته. كذا في كنز العمال (٣/ ١٦٥).

وأخرج ابن سعد (٣ / ٢٢١) عن سُفيان بن أبي العوجاء[4] قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: آلله ما أدري خليفة أنا أم ملك؟ فإن كنت ملكاً فهذا أمر عظيم!. قال قائل: يا أمير المؤمنين، إن بينهما فرقاً[5]، فإن الخليفة لا يأخذ إلا حقّاً، ولا يضعه إلا في حقّ، وأنت بحمد الله كذلك؛ والملك يعسف الناس[6] فيأخذ من هذا ويعطي هذا، فسكت عمر. وعنده أيضاً عن سلمان أن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال له: أملك أنا أم خليفة؟ فقال له سلمان: إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهماً أو أقلّ أو أكثر ثم وضعته في غير

---

(١) «دعابة»: مزاح.

(٢) «لا يصانع»: المصانعة الرّشوة «مختار» مادة (ص ن ع).

(٣) «لا يضارع»: يقال الرجل يضرع أي خضع وذلّ «مختار» (ض ر ع).

(٤) من «الطبقات» وفي الأصل و«المنتخب» (٤/ ٣٨٣): أبي العرجاء.

(٥) وفي «الطبقات» (٣ / ٢٢١): «قال: ما هو، قال:

(٦) «يعسف الناس»: يظلمهم و«العسوف»: الظلوم «مختار».

حقه فأنت ملك غير خليفة، فاستعبر عمر[١] ـ كذا في منتخب كنز العمال (٤/ ٣٨٣).

وعند نعيم بن حماد في الفتن عن رجل من بني أسد أنه شهد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ سأل أصحابه وفيهم: طلحة، وسلمان، والزبير، وكعب ـ رضي الله عنهم ـ فقال: إني سائلكم عن شيء فإياكم أن تكذبوني فتهلكوني وتهلكوا أنفسكم، أنشدكم بالله! أخليفةً أنا أم ملك؟ فقال طلحة والزبير: إنك لتسألنا عن أمر ما نعرفه ما ندري ما الخليفة من الملك. فقال سلمان ـ يشهد بلحمه ودمه ـ إنك خليفة ولست بملك. فقال عمر: إن تقلْ فقد كنت تدخل فتجلس مع رسول الله ﷺ. ثم قال سلمان: وذلك أنك تعدل في الرعية، وتقسم بينهم بالسوّية، وتشفق عليهم شفقة الرجل على أهله، وتقضي بكتاب الله تعالى. فقال كعب: ما كنت أحسب أن في المجلس أحداً يعرف الخليفة من الملك غيري، ولكن الله ملأ سلمان حكماً وعلماً، ثم قال كعب: أشهد أنك خليفة ولست بملك. فقال له عمر ـ رضي الله عنه ـ وكيف ذاك؟ قال: أجدك في كتاب الله. قال عمر: تجدني باسمي؟ قال: لا، ولكن بنعتك أجد: نبوة، ثم خلافة ورحمة على منهاج نبوة، ثم خلافة ورحمة على منهاج نبوة، ثم ملكاً عضوضاً. كذا في منتخب الكنز (٤/ ٣٨٩).

لين الخليفة وشدّته

أخرج الحاكم واللالكائي وغيرهما عن سعيد بن المسيّب رضي الله عنه قال: لما ولي عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ خطب الناس على منبر رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

> يا أيها الناس، إني قد علمتُ أنكم تُؤنِسُونَ[٢] مني شدّة وغلظة، وذلك أني كنتُ مع رسول الله ﷺ، وكنت عبده وخادمه، وكان كما قال الله تعالى: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[٣]. فكنت بين يديه كالسيف المسلول إلا أنْ يُغمِدَني أو ينهاني عن أمر فأكُفّ، وإلا قدمت على الناس لمكان لينه، فلم أزل مع رسول الله ﷺ على ذلك حتى توفاه الله وهو عني راض، والحمد لله على ذلك كثيراً، وأنا به أسعد. ثم قمتُ ذلك المقام مع أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ بعده. وكان قد علمتم في كرمه، ودَعته ولينه، فكنتُ خادمه كالسيف

(١) «استعبر»: أي فبكى (استعبر: جرت عبرته أي دمعته).
(٢) «تؤنسون»: تبصرون.
(٣) [٩/ سورة التوبة/ ١٢٨].

بين يديه أخلط شدّتي بليني؛ إلا أن يتقدم إليّ فأكفّ وإلا قدمتُ. فلم أزل على ذلك حتى توفّاه الله وهو عنّي راضٍ، والحمد لله على ذلك كثيراً، وأنا به أسعد. ثم صار أمركم إليّ اليومَ، وأنا أعلم فسيقول قائل: كان يشتدُّ علينا والأمرُ إلى غيره فكيف به إذا صار إليه؟ واعلموا أنكم لا تسألون عني أحداً، قد عرفتموني، وجربتموني، وعرفتم من سنة نبيكم ما عرفت، وما أصبحت نادماً على شيء أكون أحب أن أسأل رسول الله ﷺ عنه إلا وقد سألته. فاعلموا أنّ شدّتي التي كنتم ترون قد ازدادت أضعافاً إذا صار الأمر إليّ على الظالم، والمعتدي، والآخذ للمسلمين لضعيفهم من قويّهم، وإنّي بعد شدّتي تلك واضعٌ خدّي بالأرض لأهل العفاف والكفّ منكم والتسليم، وإني لا آبى إنْ كانَ بيني وبين أحد منكم شيءٌ من أحكامِكُمْ أن أمشي معه إلى من أحببتم منكم، فلينظر فيما بيني وبينه أحد منكم. فاتقوا الله عبادَ الله، وأعينوني على أنفسكم بكفّها عني، وأعينوني على نفسي [بالأمر][1] بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإحضاري النصيحة فيما ولاّني الله من أمركم.

ثم نزل. كذا في كنز العمال (٣/ ١٤٧).

وأخرج ابن سعد (٣/ ٢٠٦) وابن عساكر عن محمد بن زيد رضي الله عنه قال: اجتمع عليّ، وعثمان، والزبير، وطلحة، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد - رضي الله عنهم - وكان أجراهم على عمر عبدُ الرحمن بن عوف قالوا: يا عبد الرحمن، لو كلمتَ أمير المؤمنين للناس فإنه يأتي الرجل طالب الحاجة فتمنعه هيبتك أن يكلمك في حاجته حتى يرجع ولم يقضِ حاجته، فدخل عليه فكلّمه. فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ للناسِ فإنه يقدم القادم فتمنعه هيبتك أن يكلمك [في حاجته حتى يرجعَ ولم يُكَلِّمْكَ][2]. قال: يا عبد الرحمن، أنشدك الله أعليّ وعثمان وطلحة والزبير وسعدٌ أمروك بهذا؟ قال: اللهمّ نعم. قال: يا عبدَ الرحمن، والله لقد لِنتُ للناسِ حتى خشيت الله في اللّين، ثم اشتددت عليهم حتى خشيت الله في الشدّة، فأين المخرج؟ فقام عبد الرحمن يبكي يجرّ رداءه يقول بيده: أفٍّ لهم بعدك.

وعند أبي نُعيم في الحلية عن الشّعبي قال: قال عمر رضي الله عنه: والله لقد لأنّ

(١) زيد من «كنز العمال» (٣/ ١٤٧).

(٢) من «الطبقات» (٣/ ٢٠٦).

قلبي في الله حتى لهو ألْيَنُ من الزُّبْدِ[١]، واشتدّ قلبي في الله حتى لهو أشدُّ من الحَجَرِ.

وعند ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما ولِيَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له رجلٌ: لقد كادَ بعض الناس أن يحيدَ[٢] هذا الأمر عنك. قال عمر: وما ذاك؟ قال: يزعمون أنك فظٌّ[٣]. قال عمر: الحمد لله! ملأ قلبي لهم رَخماً، وملأ قلوبهم لي رُغْباً. كذا في منتخب الكنز (٤/ ٣٨٢).

حصر من يقع منه الانتشار في الأمة

أخرج سيف، وابن عساكر عن الشعبي قال: لم يمت عمر رضي الله عنه حتى مأته قريش، وقد كان حَصَرهم[٤] بالمدينة وأسبغ عليهم[٥] وقال: إنّ أخوَفَ ما أخافُ على هذه الأمة انتشاركم في البلاد، فإنْ كانَ الرجل يستأذنه في الغزو وهو ممن حُصِر في المدينة من المهاجرين ـ ولم يكن فعل ذلك بغيرهم من أهل مكة ـ فيقول: قد كان لك في غزوك مع النبي ﷺ ما يبلغك، وخير لك من الغزو اليوم أن لا ترى الدنيا، وتراك. فلما وَلِيَ عثمان رضي الله عنه خلّى عنهم فاضطربوا[٦] في البلاد وانقطع إليها الناس. قال محمد وطلحة: فكان ذلك أول وَهْنٍ[٧] دخل في الإسلام، وأوّلُ فتنة كانت في العامّة ليس إلا ذلك. كذا في الكنز (٧/ ١٣٩). وأخرجه الطبري (٥/ ١٣٤) من طريق سيف بنحوه. وعند الحاكم (٣/ ١٢٠) عن قيس بن أبي حازم قال: جاء الزبير إلى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ يستأذنه في الغزو، فقال عمر: اجلس في بيتك فقد غزوت مع رسول الله ﷺ، قال: فردّد ذلك عليه، فقال له عمر في الثالثة أو التي تليها: اقعد في بيتك، فوالله إني لأجدُ بطرف المدينة منك ومن أصحابك أن تخرجوا فتفسدوا على أصحاب محمد ﷺ. قال الذهبي: صحيح.

مشاورة أهل الرأي

مشاورة النبيّ ﷺ أصحابه:

مشاورة النبي ﷺ أصحابه في شأن عير أبي سفيان وفي أسارى بدر

أخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه: أنّ رسول الله ﷺ شاوَرَ حين بلغه إقبال أبي

---

(١) «الزُّبد»: بالفتح هو ما يطوف على وجه الماء واللبن وغيره، وبالضمّ هو ما يصنع من اللبن.

(٢) «يحيد»: حاد أي مال عنه وعدل.

(٣) «الفظّ»: الغليظ.

(٤) «حصرهم»: حصره: ضيّق عليه وأحاط به.

(٥) وفي «الطبري»: «فامتنع عليهم».

(٦) «فاضطربوا»: اضطرب: تحرّك. «مختار».

(٧) «وهن»: ضعف.